مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 150 (2): 176-194

Damascus university journal of Historical Studies
V 150 (2):194-176

الحياة الفكرية في الدولة البويهية علم الكلام والفكر الفلسفي إنموذجاً (447.334هـ/1055.946م)

ملاذ سليمان غالي [1]، أ.د . اكتمال اسماعيل [2]

[1] طالب دراسات عليا(دكتوراه) في قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق.

[2] أستاذة دكتورة في قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق.

الملخص:

يعد علم الكلام والفلسفة مرآة وانعكاس لما في باطن الفكر الإنساني من حقائق وآمال وآلام، وهي التعبير العميق والتحليل الدقيق للنفس والمحيط المادي وما وراء المادي، وتقتحم ميادين عديدة متسعة شاملة لباقي العلوم النظرية والتطبيقية، كما أنها أعطت لكل مجتمع من المجتمعات صبغة وهوية خاصة ومختلفة عن باقي المجتمعات، فمع أن العرب المسلمين استقوا كثيراً من الحقائق والأفكار الفلسفية من غيرهم من الشعوب ونهلوا منها ولا سيما الفلسفة اليونانية، إلا أنهم كونوا طابعهم الخاص والمميز للفلسفة العربية والإسلامية، والتي حاول علمائها التوفيق ما بين الفلسفة والشريعة الإسلامية، والتي بدورها نمت وتطورت وبلغت حداً لا يستهان به في عصر الدولة البويهية مع ظهور التيارات والفرق الإسلامية المتباينة الآراء.

تاريخ الايداع: **2023/8/3**
تاريخ النشر: **2023/8/20**

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

الكلمات المفتاحية: الفلسفة . المنطق . الجدل . علم الكلام . الدهرية . الزندقة.

Intellectual life in the Buyhid state, theology and philosophical thought as a model (334-447 H/ 946-1055 AD)

Malaz Sulayman Ghali [(1)], Eiktimal Esmaeil [(2)]

[(1)] A Phd Student In Damascus University, Faculty Of Arts And Humanities, Department Of History, Islamic History.

[(2)] Professor Of Islamic History In Damascus University.

Abstract:

Oratory and philosophy are considered a mirror and a reflection of what is going on in the human mind – facts, aims and sufferings.

It is a deep expression and accurate analysis of the spirit, the material world and the abstract world or immaterial one.

It covers several fields of knowledge including both theoretical and practical domains.

It gives every society its character and special identity that is different from other societies.

Although Arab Muslims derived lots of facts and philosophical ideas from other peoples and benefited from it – Greek philosophy, in particular- they stamped it with their own character that distinguishes the Arab Islamic philosophy.

Arab Muslim philosophers tried to find out links between philosophy and the Shareah of Islam which in turn grew and developed considerably during the reign of the Boweyheen State.

This resulted in the emergence of different Islamic sects that have different opinions and points of view.

key words: philosophy, Oratory, dialect, Bano Boweih, Adud Al Dawlah, Aristotle, Al Farabi, Ibn Sina, Al Bakillani.

Received: **3/8/2023**
Accepted: **20/8/2023**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY- NC-SA**

المقدمة:

الحضارة هي نتاج وثمرة الجهد البشري، الذي شاركت فيه وتشارك الأمم والشعوب كل حسب جهده، فالأمم والحضارات تقاس بما قدمت من منجز حضاري ساهم في التطور الإنساني، وإن قياس ثمراتها المنبعثة في الزمان ما هي إلا نتيجة جهد الإنسان المخلص والعوامل المحيطة بها سواء منها السياسية أو الجغرافية أو الاقتصادية وحتى الثقافية والدينية، والتي تشكل النسيج الكلي لأي حضارة وفق مسار تقدم التاريخ.

فالحضارة العربية الإسلامية كان لها مساحتها الزمنية والتاريخية ولها خصوصيتها وحاضنتها السياسية والفكرية، فهي لم تكن ذيلاً أو تابعاً أو مقلداً لحضارة، فهي التعبير الكامن عن الوجدان العربي ذي القوام الخاص، فأخذت ونهلت ما أرادت وبحثت ومحصت ورفضت وأصلحت وطورت ما استقت، ثم وضعت البناء العظيم وجرى الفكر متدفقاً سيالاً يبدع ويتفنن، والحضارة لا تكشف عن إبداعها إلا إذا توافر الإنسان الفعال والمجتمع الحركي والدولة القوية، وازدهار أي حضارة لا يتأتى إلا وفق مسارات منسجمة مع أحكامه ومقوماته المتكاملة، وهذا ما سعت إليه الحضارة العربية الإسلامية بمختلف أدوارها.

هذا التراكم الحضاري الإبداعي لم يقتصر على مجال دون غيره، بل كان إبداعاً شاملاً في مجمل النواحي الحضارية، مع التركيز في هذا المقام على علم الكلام والفكر الفلسفي، انطلاقاً من تكوينه ونمطيته في الفكر العربي والإسلامي، وصولاً إلى وضعه في العصر العباسي وتحديداً خلال سيطرة بني بويه على الخلافة العباسية خلال الفترة الممتدة (334هـ/ 946م) لغاية (447هـ/1055م).

إشكالية البحث:

غلب على الحضارة العربية الإسلامية الطابع الديني واتسمت بهذه الصبغة، لكن إلى أي مدى تأثر علم الكلام والفكر الفلسفي بالفكر الديني والذي بالأصل نشأ للدفاع عن الدين؟ هل كانت الفلسفة في هذا العصر مغلقة الأركان بعيدة عن الخوض في الأمور الدينية؟ أم تجاوزت هذه الحدود؟ هل كان هذا العلم متاحاً في الدوائر الرسمية وحلقات العلم؟ أم كان متستراً مغلفاً كما حدث عند جماعة إخوان الصفا؟ هل قدم العرب المسلمون أي جديد أو إنتاج فلسفي عالمي؟ أم اقتصر على الشروح والتوضيحات؟ ومن هم أشهر الفلاسفة في هذا العصر؟

أهمية البحث:

يشكل البحث مادة علمية للمهتمين بدراسة الحياة الفكرية في العصر العباسي وعلى وجه التحديد عصر الدولة البويهية، ولا سيما في مجال العلوم الفلسفية والدينية، إلى جانب محاولة تسليط الضوء على أبرز العلماء العاملين في هذا الحقل المعرفي، وأبرز المؤلفات التي ألفت في هذا المجال، ومدى تأثيرها في مجال تطور العلوم الفلسفية على مر العصور.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الحياة الفكرية، وعلى وجه التحديد العلوم الفلسفية، في مرحلة من مراحل الحضارة العربية الإسلامية، مرحلة الحكم البويهي، ومحاولة دراسة حركة التطور المعرفي لهذا العلم، وحصر أعلامه ومبدعيه ورواده، وتسليط الضوء على أهم

مؤلفاتهم، والتي كان لها الأثر العميق في بناء النسيج الشامل للفكر الفلسفي والحضارة العربية، ولتبيان جوانب الإبداع والتفرد الفلسفي على وجه الخصوص والحضاري بوجه عام.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التاريخي السردي ثم التحليلي وتمت المقارنة بعد ذلك، حيث تقتضي طبيعة المادة العلمية تحليل النصوص الفلسفية الكلامية، واستقراء ما استنبط من أفكار كلامية هذا النوع المعرفي، وروافع نشأة الفكر الفلسفي الكلامي العربي الإسلامي على وجه العموم، وخلال العصر البويهي على وجه الخصوص، والوقوف عند أبرز أعلامه والنظر إلى ما قدموه من إنجازات فكرية وحضارية في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء.

مصطلحات البحث:

الفلسفة . المنطق . الجدل . علم الكلام . الدهرية . الزندقة.

أولاً: لمحة تاريخية عن الدولة البويهية:

ينتسب البويهيون إلى بويه بن فناخسرو بن تمام ويمتد نسبهم إلى أزدشير بن بابك الفارسي، من بلاد الديلم[1] (ابن الأثير، 1987م، ج7، 87)؛ (القزويني، د.ت، 330)؛ (القلقشندي، 1992م، ج4، 379)؛ (أبو الفداء، د.ت، ج2، 78). ويقال بأن بويه: " كان رجلاً صعلوكاً من الديلم، فقيراً يصيد السمك " وكان له أولاد ثلاثة هم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة حسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد (ابن الأثير، 1987م، ج7، 87)؛ (أبو الفداء، د.ت، ج2، 78)؛ (القرماني، 1992م، ج2، 447).

وقد كتب لهذه الأسرة أن تمثل دوراً رئيساً في السياسة الإسلامية، وبسبب طبيعة البلاد وسوء الأحوال المعيشية، فقد فرضت عليهم الظروف مثلهم مثل معظم الديلم أن يعملوا كجند مرتزقة لتأمين معيشتهم، فعملوا لدى رجل من الديلم اسمه مرداويج بن زيار[2] حاكم طبرستان[3](الحموي، د.ت، ج4، 13)؛ (ابن الأثير، 1987م، ج7، 89)؛ (القزويني، د.ت، 403)؛ (الذهبي، 1983م، ج15، 215) كون أن بويه وأبنائه يعملون لديه، فقد كان علي بن بويه حاكماً على بلاد الكرج[4](الحموي، د.ت، ج4، 446)، لكنه ثار وتمرد على سيده وحاكمه سنة (321هـ/932م) فاحتل أصفهان[5](الحموي، د.ت، ج1، 206)، كما قام بالتحالف مع إخوته على بسط سلطانه في مناطق جديدة من فارس، وفي سنة (322هـ/934م) استولى على شيراز[6](الحموي، د.ت، ج3، 380)، وجعلها مقراً له، وبعد أن تمرد الجند الأتراك على مرداويج بن زيار وقتلوه سنة (323هـ/934م) سيطر الحسن

1 الديلم : قرب بحر قزوين، وهي جبال متسعة، في الوجه الذي يقابل طبرستان.

2 مرداويج بن زيار الديلمي، قائد حكم بلاد الجبل وغيرها، عتا وتمرد وسفك الدماء، قُتل على يد جنده الأتراك سنة (323هـ/934م).

3 طبرستان: بين الري وقومس وبحر الخزر وبلاد الديلم والجبل. طبرستان: بين الري وقومس وبحر الخزر وبلاد الديلم والجبل.

4 الكرج: وهي مدينة بين همذان وأصبهان في منتصف الطريق.

5 أصفهان: ويقال لها أصبهان، وهي مدينة عظيمة ومشهورة من نواحي الجبل.

6 شيراز : بلد عظيم وهي قصبة بلاد فارس ووسطها، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً، بناها القائد العربي محمد بن القاسم.

بن بويه على بلاد الجبال[7] في الوقت الذي كان فيه أخوه أحمد قد استولى على كرمان[8](الحموي، د.ت، ج4، 454)؛ (ابن الأثير، 1987م، ج7، 90، 94، 108)؛ (القزويني، د.ت، 341).

في ذلك الوقت استغل آل بويه استنجاد الخليفة المستكفي بالله[9](الديار بكري، د.ت، ج2، 353)، بأحمد بن بويه (بروكلمان، 1968م، 244)؛ (منيمنة، 1987م، 97)؛ (أيوب، 1989م، 152)، بسبب أوضاع بغداد المضطربة فدخلها سنة (334هـ/946م)، وأظهر الخليفة المستكفي بالله السرور بقدوم أحمد ولقبه بمعز الدولة، ولقّب أخاه علياً بعماد الدولة، والحسن بركن الدولة، وأمر أن تضرب أسماؤهم على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة وهو أول من ضرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة (ابن الأثير، 1987م، ج7، 205)؛ (القلقشندي، 1985م، ج1، 300)، بعدها عمد معز الدولة أحمد إلى خلع الخليفة المستكفي بالله وأقام الخليفة المطيع لله[10](الذهبي، 1983م، ج25، 28، ج26، 253)؛ (الخطيب، 1990م، 118)، وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره (أبو الفداء، د.ت، ج2، 78)، وبذلك ملكوا العراق وبلاد فارس، وساسوا أمور الرعية بعد أن أصبحوا هم الحكام الفعليون والمتحكمون في أمور الخلافة، وأصبح الخليفة مجرداً من أي سلطة سياسية.

وقد دام التسلط البويهي على الخلافة العباسية مدة 113سنة ، إبتداءً من سنة (334-447هـ/945-1055م) سيطر خلالها أحد عشر أميراً من أمراء بني بويه، والذين لم يستطيعوا الحفاظ على سلطانهم إلا بمنازعات دائمة مع أبناء جلدتهم الديلم، ومع القبائل العربية في الجزيرة وبلاد الشام، كما تنازعت ذريتهم على السلطة، وقد أدت الخلافات والانقسامات والحروب المتعددة بين أفراد البيت البويهي إلى ضعف الدولة البويهية، حتى تمكن الخلفاء العباسيون من انتزاع المبادرة والتدخل في السياسة، ومناوأة النفوذ البويهي، وانتهت الدولة البويهية على يد الأتراك السلاجقة عندما دخل زعيمهم طغرلبك[11] مدينة بغداد سنة (447هـ/1055م) (ابن خلكان، 1968م، ج5، 63)؛ (الذهبي، 1983م، ج107،18)، وقضى على آخر ملوك البويهيين (القرماني، 1992م، ج2، 447)؛ (بروكلمان، 1968م، 246)؛ (أيوب، 1989م، 156).

ثانياً: الحركة الفكرية في عصر الدولة البويهية:

من الصعوبة بمكان قراءة أي فكر أو دراسة مواطن إبداع أي شخصية علمية فكرية فلسفية أدبية تاريخية مهما بلغت من الشأن في مكانها وزمانها، دون الأخذ بالحسبان الاهتمام الكبير بطبائع العصر الذي نشأت فيه تلك الثقافة الفكرية أو ذاك الفكر، ومحاولة معرفة وتقدير الأجواء الفكرية الاجتماعية والسياسية التي وسمت طبائع أحوال عمران تلك المرحلة.

7 بلاد الجبال: ناحية مشهورة يقال لها قهستان، شرقها مفازة خراسان وفارس، وغربها أذربيجان، وشمالها بحر الخزر، وجنوبها العراق وخوزستان.

8 كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان.

9 الخليفة أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله علي بن المعتضد أحمد العباسي، تولى الخلافة سنة (333هـ/944م) وقام بعزله معز الدولة البويهي سنة (334هـ/946م).

10 أبو القاسم الفضل بن المقتدر جعفر، بويع بالخلافة سنة (334هـ/946م) بعد خلع الخليفة المستكفي، وبقي في الخلافة حتى عزل نفسه سنة (363هـ/973م).

11 طغرلبك ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل، أول سلاطين السلاجقة الأتراك، الذين كانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر قبل قدومهم بغداد، توفي سنة (455هـ/1063م).

فقد كان واقع حال العمران للدولة العباسية منذ أفول عصرها الذهبي (232هـ/ 847م) وسيطرة الأتراك على الخلافة، وقبل تسلم البويهيين الحكم (334هـ/ 946م) في حال من الفوضى السياسية وضياع هيبة الخلافة ومركزية الدولة وبروز الدول المستقلة والزعامات المتنافسة والمتنافرة المتناحرة.

ومع تولي البويهيين السلطة واستلام زمام مقاليد إدارة شؤون بلاد الخلافة، عاد التألق الحضاري لبغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية، ومركز الثقل السياسي، وبقيت منارةً للعلم ومنبعاً للإشعاع الفكري والحضاري، واستقطبت الكثير من العلماء والمفكرين من مشارق الأرض ومغاربها، وموئلاً لذوي الرأي والفكر، حيث أولى الحكام البويهيون ولا سيما الجيل الثاني منهم والذي تشبع بالثقافة العربية الإسلامية الاهتمام بالجانب الفكري والعلمي، وتهيئة المناخات الفكرية التي تشكل الحاضنة الطبيعية لإنماء ذلك الفكر وإثرائه، أكان في مجال العلم والأدب في قصور الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، أو السماح بطرح مسائل الإيمان والعقيدة والحجاج فيها، لا سيما وأن أبناء شعوب كثيرة دخلت الإسلام (منيمنة، 1987م، 313).

فقد كان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة البويهي (ت367هـ/ 977م) شاعراً (الصفدي، 2000م، ج10، 53)، كما اهتم الأمير عضد الدولة البويهي[12](الذهبي، 1988م، ج26، 522)؛ (الزركلي، 2002م، ج5، 156)، بمعظم فنون العلم والأدب وسائر العلوم الإنسانية والعلمية، وأمر بإعطاء الأموال للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين والأطباء والمنجمين والمهندسين، وأفرد في داره للحكماء والفلاسفة موقعاً قريباً من مجلسه وهي الحجرة التي يختص بها الحجاب ومكان يجتمعون فيه للمفاوضة، بالإضافة إلى أنه كان نحوياً، له مشاركة في فنون، وكان محباً للعلم والعلماء ويصلهم ويغدق عليهم العطايا، فقصده العلماء من كل بلد (الذهبي، 1988م، ج26، 524)؛ (ابن خلدون، 1999م، ج9، 974)؛ (الطائي، 2020م، 63).

كما أن الأمراء البويهيون لم يستوزروا ولم يستكتبوا إلا العلماء والشعراء والكتاب، فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزرائهم وولاتهم وقضاتهم وكتابهم، فالوزير الحسن بن محمد الأزدي المهلبي (ت 352هـ/963م) وزير معز الدولة بن بويه، كان فاضلاً شاعراً، أديباً مترسلاً بليغاً، مقبلاً على أهل الأدب، مقرباً للعلماء (الذهبي، 1983م، ج16، 197)؛ (ابن العماد، 1979م، ج3، 9)؛ (زيدان، د.ت، ج2، 261)، كما أن الوزير الكبير محمد بن الحسين بن محمد الكاتب ابن العميد (ت 360هـ/ 970م) وزير الملك ركن الدولة الحسن بن بويه، كان يقال له الجاحظ الثاني وكان متفلسفاً، وكانت أيامه للعلماء والأدباء والشعراء، وقدم إليه من الآفاق والبلاد كل قاصد، ومجلسه جامع لأصحاب العقول والعلوم (الذهبي، 1988م، ج26، 137)؛ (العازمي، 2013م، 54).

كما قام أبو نصر سابور بن أزدشير وزير الأمير بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه، سنة (383هـ/993م) بإنشاء دار للعلم في بغداد، ووقف عليها وعلى الفقهاء أموالاً كثيرة (ابن العماد، 1979م، ج3، 280)؛ (الترمانيني، 1991م، ج2، 874)، وكذلك الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد ابن عباس الطالقاني (ت 385هـ/ 995م)، الأديب والكاتب، وزير الملك مؤيد

12 الأمير فناخسرو أبو شجاع بن الأمير ركن الدولة حسن بن بويه، ولي مملكة فارس بعد عمه عماد الدولة، ثم قوي على ابن عمه عز الدولة بختيار معز الدولة، وبلغ من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بنيه، ودانت له البلاد والعباد، وهو أول من خوطب بالملك شاه في الإسلام، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد أمير المؤمنين، توفي سنة (372هـ/983م).

الدولة بن ركن الدولة حسن البويهي ووزير الأمير فخر الدولة بن ركن الدولة، كان أديباً وشاعراً وعالماً، وله تصانيف (الذهبي، 1983م، ج16، 511)؛ (الترمانيني، 1991م، ج2، 886).

وفي تلك المناخات الفكرية برز العديد من العلماء والأدباء والمفكرين في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية، يذكر منهم على سبيل المثال، شاعر العصر أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسن الكوفي (ت354هـ/965م) مالئ الدنيا وشاغل الناس، وعلى مختلف العصور إلى الوقت الحاضر، والذي مدح جماعة من الملوك، ومدح عضد الدولة البويهي وأجزل له العطاء، وأتاه ثلاثين ألف دينار (ابن خلكان، 1968م، ج1، 120،123)؛ (ابن العماد، 1979م، ج3، 13).

وممن اتصل بالأمير عضد الدولة البويهي وكان منجمه ومحل إكرامه وتقديره عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي (ت 379هـ/989م) والذي اهتم بدراسة صور السماء وملاحظة مجاميع النجوم، مما يساعد على فهم التطورات التي تطرأ عليها (الترمانيني، 1991م، ج2، 844).

كما كان للغة والأدب نصيب وافر، فمن أئمة اللغة أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت383هـ/993م) والذي اتصل بالوزير الصاحب ابن عباد، وكان من أشهر كتاب الرسائل الإخوانية، كان بينه وبين بديع الزمان الهمذاني مناظرات علمية، تنقل في البلاد ومدح الملوك، وكان من شعراء عصره (الذهبي، 1988م، ج27، 68)؛ (الترمانيني، 1991م، ج2، 875).

وممن تولى ديوان الإنشاء ببغداد لعز الدولة بختيار بن معز الدولة البويهي، وتقدم بالرسائل والبلاغة والنظم الرائق، وخدم بنو بويه إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابي الحراني (ت 384/994م) (الذهبي، 1988م، ج27، 75)؛ (الترمانيني، 1991م، ج2، 877).

وكذلك الأديب والشاعر أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد السلامي (ت393هـ/1002م) والذي نشأ ببغداد، وقصد الصاحب إسماعيل بن عباد وهو بأصبهان، وامتدحه، فبالغ في إكرامه، ثم قصد الأمير عضد الدولة البويهي (الذهبي، 1988، ج27، 294).

كما برع أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني (ت398هـ/ 1008م) ذي الصلة بالصاحب ابن عباد وكان أحد أئمة الكتاب، وصاحب المقامات، ورسائله مدونة ومشهورة (الذهبي، 1988م، ج27، 349)؛ (الصفدي، 2000م، ج6، 220)؛ (الزركلي، 2002م، ج1، 115).

وقد كان للنحو والشعر والفقه والكلام أيضاً مجالسه ومناظراته، التي أغنت الحياة الفكرية والعلمية آنذاك وزادتها ثراء، وهنا يحضر أبو حيان التوحيدي، علي ابن محمد بن العباس البغدادي الصوفي، والمختلف في تاريخ وفاته، وهو بحدود (400هـ/1010م)أحد أبرز أئمتها، وقد جمع بين علوم النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام، ولقب بفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة (الذهبي، 1983م، ج17، 119)؛ (السيوطي، 1979م، ج2، 190)؛ (الزركلي، 2002م، ج4، 326).

كما ويحضر الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين ابن موسى العلوي (ت 406هـ/1016م) كان عالماً فاضلاً وشاعراً مترسلاً (ابن الجوزي، 1992م، ج15، 115)؛ (الذهبي، 1983م، ج17، 285).

يلاحظ نشاط الحركة الفكرية والثقافية في عصر الدولة البويهية، ومقدار العناية والاهتمام من قبل الأمراء والوزراء، واستقطاب وإغداق الأموال على الأدباء والعلماء والفضلاء، فكان هناك العديد من الأسماء الخالدة في سماء الفكر العربي والإسلامي، المختلفي المذاهب، ولا شك أن هذا الاختلاف في الأفكار والمعتقدات كان له الدور الكبير في اتساع الثقافة وتنوع مصادرها.

ثالثاً: علم الكلام والفكر الفلسفي في عصر الدولة البويهية:

تميز العصر العباسي بتنوع مكوناته وتعدد الأعراق والأمم والشعوب والجماعات التي تعيش على امتداد جغرافيته، حيث دخلت تحت عباءة الإسلام أبناء أمم وشعوب عدة وثقافات وديانات أخرى، كما نشطت حركة الترجمة والنقل، وعبرت على جسورها الفلسفة اليونانية إلى عقلية الإنسان العربي المسلم، ومع مجمل ذلك طرحت أسئلة كثيرة حول كلام الله ومسألة خلق القرآن، ومضامين العقيدة، وحتى في معطيات الوحي، وكان ذلك من أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المسلمين عرب كانوا أم أعاجم، وفي ذلك تعددت الأقوال والأحكام.

وقد أثمرت تلك المحاولات عندما انبرى علماء الإسلام للدفاع عن العقيدة وعن كلام الله، فأثمر ذلك نشأة علم جديد غدا يعرف باسم علم الكلام، ارتكزت ولادته على أسس عميقة متصلة بحاجات الفكر الجمعي لدى جمهرة المثقفين المسلمين عامة، ولدى أشياع الفرق الدينية والإسلام على وجه الخصوص.

أما علم الكلام عند ابن خلدون: " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد " (ابن خلدون، د.ت، ج1، 382).

وقد تمخض عن علم الكلام الجدل والذي هو طريقة خاصة في البحث وأحد أساليب المناظرة المطروحة من أجل الوصول إلى وجهة نظر ثالثة صحيحة والوقوف على رأي أحد المتناظرين أو قد ينبثق عن هذا الصراع الفكري رأي ثالث متواشج بينهما يشكل الصورة الفنية الجديدة، من خلال تشغيل أدوات الجدل المتمثلة بآليات الإدراك، الخيال، الذات، الحدس، اللاشعور .... من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة (المعلة، 2008م، 222).

وفي الحقيقة أن بين علم الكلام وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق جامع وثيق يمثله الاتجاه العقلي واعتماد المنطق والحجة والبرهان سبيلاً لنوال القصد، وبلوغ الهدف وتحقيق المرام بيد أن التجربة الكلامية تختلف عن التجربة الفلسفية اختلافاً عظيماً، لا يرجع إلى تفاوت المواضيع ولا إلى تباين السبل، إذ المواضيع كلها واحدة مشتركة تتبع بين مشاغل الناس في البيئة العربية الإسلامية والسبل واحدة مشتركة أيضاً لأن الكلام فكر عقلي والفلسفة بحث عقلي كذلك، وإنما الاختلاف في الغاية المرموقة والغرض المنشود (العوا، 1964م، 14).

والفلسفة لفظ مشتق من اللفظ اليوناني فيلاسوفيا، أي محبة الحكمة، ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح، وهي فرع من العلوم العقلية التي تسمى علوم الأوائل، وهي من مميزات الثقافة اليونانية (محاسنة، 2001م، 221).

وعلوم الفلسفة عند ابن خلدون: " علوم مشتملة على أربعة علوم: الأول: علم المنطق: وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها، ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره، والثاني: العلم الطبيعي: وهو النظر في المحسوسات في الأجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك، والثالث: العلم الإلهي: وهو النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات، والرابع: وهو الناظر في المقادير ويشتمل

على أربعة علوم وتسمى التعاليم، الهندسة، وعلم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاصقة، والثالث وهو علم الموسيقى والرابع علم الهيئة" (ابن خلدون، د.ت، ج1، 399).

وكما هو متفق عليه أن أصل الفلسفة يوناني، ولم تصل أي أمة ما وصلت إليه الفلسفة اليونانية، وعدوا أساتذة الفكر الإنساني ورواده، وأهم حادث في تكوين الفكر الفلسفي الإسلامي كان في لقائه بالفلسفة اليونانية، التي انتقل تأثيرها إلى المشرق العربي والإسلامي نتيجة الاحتكاك الحضاري المتعدد الأشكال، فنشأت فلسفة خاصة ومدارس فلسفية جديدة، تلك الفلسفة التي صيغت خلال عدة قرون على أيدي من واصلوا العمل في الفلسفة وشرحها (بوزوث، 1998م، ج2، 47)، إلا أن العرب المسلمين لم ينقلوا كتب فلاسفة اليونان إلى العربية إلا في عصر الخليفة المأمون (198– 218هـ/813– 833م).

والواضح أن الفلسفة الإسلامية التي اعتمدت إلى حد كبير على الفلسفة اليونانية قد تأخر نضجها بالقياس إلى العلوم الأخرى، وكان أن ربط العلماء بين هذا العلم والدين وتناقشوا في الإلهيات، ووضعوا أساس الفلسفة الإسلامية والروحية، وبنوا عليها علم الكلام، وأيدوه بها، لتقوى حجتهم فيما كان يدور بينهم من المجادلات المذهبية، وقد اضطرهم ذلك إلى الاشتغال بعلم المنطق والتأليف فيه، وقد اعتقد الكثير من المسلمين أن الفلاسفة يريدون تشكيك الناس في عقائدهم فاضطهدوهم، ومع ذلك فقد كان بعض الخلفاء في العصر العباسي يشجعونهم على الجدل والمناقشة والبحث العقلي، وقد ظهر كثير من الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم أثر واضح في الفكر الإسلامي ثم في الفكر الأوربي (شلبي، 1998م، 327).

وقد تمكن علماء الكلام فعلاً من إجراء تصنيف حاد للمجموعات في الإسلام، خصوصاً في العصر العباسي الثاني، أخطر عملية فرز بين المسلمين، فلقد كان السعي الدؤوب عند أهل الكلام لتعيين الفرقة الناجية، أو الطائفة المحقة، أو المذهب الصحيح، مما كان له التأثير البالغ على الجميع، ثم صنفوا الرجال وفق معاييرهم في الكفر والإيمان، ومن جهة أخرى تم وضع كل العلوم الدينية للآخرين موضع الشك، وغدت مصادر الآخرين مصادر عند الآخرين فقط (سلهب، 2011م، 41)، في عصر تعددت فيه الحركات الدينية والحركات السياسية، والثورات ذات الطابع الديني، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وظهور الفرق الدينية المختلفة فكرياً وعقائدياً وحتى أصولياً.

ومن أشهر الفرق الدينية التي اعتمدت على مباحث علم الكلام في العصر البويهي، المعتزلة وهم طائفة من المتكلمين كان لها أكبر الأثر في وضع مباحث علم الكلام وحاملي لوائه الذي سيطر على الفكر الإسلامي حيناً من الدهر، وكان لها كذلك الأثر في تطور هذه المباحث، فجاء تفكيرهم حراً بعيداً عن أثر التقليد ومدرستهم من أكبر المدارس في الإسلام، والمعتزلة نشأت أول ما نشأت من اتخاذها موقف الاعتزال عن الفرق السياسية المتنازعة حول الإمامة، ومؤسس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء (30– 131هـ/ 650– 748م)، وقد اشترك المعتزلة بمبادئ عامة، عرفت بأصول المعتزلة، وهي: 1– القول بالتوحيد 2– القول بالعدل 3– القول بالوعد والوعيد 4– القول بالمنزلة بين المنزلتين 5– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ناهض أهل السنة المعتزلة، ذلك لأنهم رأوا الوقوف عند النص دون التأويل، لأنهم كانوا يرون أن معرفة صفات الله وذاته فوق العقل البشري، وبذلك يكون جوهر الخلاف بين الفريقين في سلطة العقل ومداها وحدودها (البغدادي، 1995م، 117)؛ (التفتازاني، 1991م، 44)؛ (أمين، 1936م، ج3، 39–40).

وكذلك الأشاعرة وينتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحق ابن سالم بن عبد الله الأشعري (ت 324هـ/935م) وكان أول أمره على مذهب الاعتزال، فبلغ في الجدل والمناظرة مرتبة كبيرة، ثم رجع عن الاعتزال، وأراد أن يصحح مساره، فانبرى للدفاع عن رأيه الجديد، فألف مجموعة من الكتب على مذاهب أهل السنة، وكتباً للرد على أصحاب الديانات الشرقية والمنكرين للإلوهية والفلاسفة والطبيعيين القائلين بقدم العالم، والرد على سائر المبتدعين (طرابيشي، 1987م، 60)؛ (محاسنة، 2001م، 118).

وهكذا برز علم الكلام بوصفه المذهب الفكري الأكثر تعبيراً عن تدرج يقظة الذكاء الجمعي العربي، وصولاً للكشف عن ترافق هذا الوعي واستجابته لذيوع التعليم الفلسفي والذي يتسق والتطور الطبيعي للفكر الديني ذاته (العوا، 2001م، 84).

وقد حاول بعض الخلفاء والسلاطين تأطير هذا الاختلاف في التفكير الفلسفي وعلم الكلام والجدل من خلال المناظرات العلمية التي يرعونها شخصياً وتدور تحت إشرافهم وتجري بين مختلف الفرق والمذاهب الدينية الإسلامية وغير الإسلامية، ومن هذه المناظرات العلمية الفقهية بدأ علم الكلام وعلم أصول الفكر، فقد استطاع العقل العربي الإسلامي، بما أوتي من ذكاء فكري وفطنة وإرادة واعية ومما نفذ إلى ثقافته من روافد بنياناً جديداً طبيعياً لا هو باليوناني ولا هو بالفارسي ولا هو بالهندي، إنه بنيان عربي إسلامي له طابعه الخاص .

ومثال ذلك ما كان يجري في بلاط عضد الدولة البويهي (367–372هـ/ 977– 983م) من مناظرات علمية، فقد كان محباً للعلوم مقرباً لأهلها، وكان يكرم العلماء أوفى إكرام وينعم عليهم، ويقربهم من حضرته ويدنيهم من خدمته، ويعارضهم في أجناس المسائل ويفاوضهم في أنواع الفضائل، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها (الروذراوري، د.ت، ج3، 68)؛ (مرحبا، 1970م، 352)، وكان مجلسه يحتوي على عدد عظيم من كل فن، وأكثرهم الفقهاء المتكلمون، وكان يعقد لهم للمناظرة مجالس.

ففي أحد الأيام قال عضد الدولة: " هذا المجلس عامر بالعلماء، إلا أنني لا أرى فيه قاعداً من أهل الإثبات، يعني أهل الحديث ينصر مذهبه، فقال لقاضيه أنظر في مناظر منهم يحضر مجلسنا، فقيل له أن بالبصرة شاباً يعرف بأبو بكر بن محمد بن الطيب الباقلاني، وكان الكل ممتنعاً، فقبل أبو بكر الباقلاني حضور المجلس، فلما كان يوم الجمعة، كان اليوم المحدد للمناظرة، وبعد صلاة الظهر قعد الملك للعلماء، فدخل والناس قد اجتمعوا والملك جالس على سريره، وعن يمينه ويساره المراتب، والمجلس قد امتلأ، وكان عن يمين الملك خال وهو محل الوزير، أو ملك عظيم، فكرِه أبو بكر الباقلاني أن يجلس بآخر المجلس، فمضى وجلس عن يمينه، ونظر الجميع إليه ولم يكن أحد يعرفه هناك بما فيهم عضد الدولة، وقد فزع الجميع لهذه الفعلة، ومن ثم بدأت المناظرة، فأثبت الإمام أبو بكر الباقلاني قدرته وتميزه وإبداعه وحجته القوية في مواجهة باقي الفرق والمتكلمين، حتى قال الملك عضد الدولة لقاضيه: "والله فكرت بأي قتلة أقتله لجلوسه حيث جلس بغير أمري، وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكاني مني"(ابن عياض، 1982م، ج7، 44)، وهذا دليل واضح على مدى العناية والرعاية التي أولاها الحكام البويهيون لمسألة الجدل وعلم الكلام، وعلى الانفتاح وتقبل فكر الآخر، على الأقل خلال هذه المناظرات التي أطرها الحكام البويهيون بإطارهم، والذي أغني الفكر الفلسفي الإسلامي خلال هذه الحقبة الزمنية .

إلا أن بعض العلماء لم يحبذ حضور هذه المناظرات العلمية ومجالس أهل الكلام، فعندما سأل أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدى الفقيه المحدث (ت قبل 400هـ/ 1009م) عند وصوله إلى القيروان من ديار المشرق، هل حضرت مجالس أهل الكلام، فقال: " بلى، حضرتهم مرتين، ثم تركت مجالسهم، ولم أعد إليها، فقال له أبوه محمد: ولم ؟ فقال: أما أول مجلس حضرته فرأيت

مجلساً قد جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنة والبدعة، والكفار من المجوس، والدهرية،[13] (البغدادي، 1995م، 294)، والزنادقة،[14] (بيطار، 2004م، 157)، واليهود، والنصارى، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه، ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس أي فرقة كان، قامت الجماعة إليه قياماً على أقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله، ورأوا أنه لم يبق أحد ينتظرونه، قال قائل، قد اجتمعتم للمناظرة، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا يقولون بنبيهم، فإنا لا نصدق بذلك، ولا نقر به، وإنما نتناظر بحجج العقل، وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون نعم لك ذلك، ثم قيل لي ثم مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه فوجدتهم مثل سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس أهل الكلام فلم أعد إليها"(الحميدي، 1966م، ج3، 109).

ومما هو جدير بالذكر أن تلك المناظرات لم تكن لها الصفة المحلية ضمن أركان الدولة البويهية فقط، وإنما كانت تجري تلك المناظرات بين الدولة البويهية والإمبراطورية البيزنطية، ومن تلك المناظرات، المناظرة التي شارك فيها الإمام أبو بكر الباقلاني، حيث حكي أن عضد الدولة البويهي أراد أن يبعث رسولاً إلى الروم، وقال: " إن النصارى يسألون ويناظرون فمن يصلح؟ فقالوا: ليس لهم مثل القاضي أبي بكر، فإنه يناظرهم ويغلبهم في كل ما يقولون " وكان قد ذهب في سفارة إلى ملك الروم وجرت له أمور، منها أن الإمبراطور أدخله عليه من باب خوخة أي قنطرة صغيرة ليدخل راكعاً للإمبراطور، ففطن لهذه الخدعة الإمام أبو بكر الباقلاني، ودخل بظهره، وقد سأل أبو بكر الباقلاني راهبهم: " كيف الأهل والأولاد " ؟ فقال الإمبراطور: " أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا "؟ فقال: " تنزهونه عن هذا ولا تنزهون الله عن الصاحبة والولد" ؟ وقيل أن الإمبراطور سأله كيف جرى لعائشة، وقصد توبيخه، فقال له أبو بكر الباقلاني: " كما جرى لمريم فبرأ الله المرأتين، ولم تأت عائشة بولد"، فأفحمه فلم يجد جواباً (القزويني، د.ت، 312)؛ (الذهبي، 1988م، ج28، 89).

رابعاً: أشهر علماء الكلام والفلاسفة في العصر البويهي:

في الحقيقة التي لا سبيل إلى نكرانها أن العصر البويهي قد حمل بعض الأسماء من المتكلمين والفلاسفة الذين لمعوا في سماء الفكر ليس العربي والإسلامي فقط وإنما الفكر الإنساني، وكان الأثر الكبير في الفكر الفلسفي العالمي، وأصبحت أفكارهم ومؤلفاتهم أساساً يبني عليه، بحيث أضحت الفلسفة في صورة الحكمة الكبيرة التي أسهمت كل العقول الكبيرة في تكوينها.

ومن أشهر هؤلاء المتكلمين والفلاسفة:

. الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور (260– 339هـ/870–950م) صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرها من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه (ابن خلكان، 1968م، ج5، 153).

13 الدهرية: وهم من دين الباطنية وهم دهرية زنادقية يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع.

14 الزندقة: كلمة فارسية تعني الذي يتبع زند وغيره من الكتب المقدسة، ومن ثم أطلق على المانوية، وأساسها الإلحاد، وخلاصة المذهب أن العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة، ومن النور نشأ كل الخير، وعن الظلمة نشأ كل شر.

ويعد الفارابي من أكبر فلاسفة الإسلام، فيمثل العبقرية الثقافية الإسلامية والنظريات الفلسفية التي استخدمها، فقد كان أستاذاً في الفلسفة بفروعها ومعلماً في الأخلاق ورائداً في علم النفس، وتعرض للنفس والعقل والسياسة، وما وراء الطبيعة، والحياة الآخرة، والذات الإلهية، بفكر مرتب واستنتاج سليم.

كانت فلسفة الفارابي فلسفة شفافة لا تعقيد فيها ولا تعنت، ويتلخص مذهبه الفلسفي في المنطق وفي ما وراء الطبيعة وفي أصول علم الطبيعة والعلم بالموجودات، وأن الله هو المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته وعدله، وأما الأعمال التي يعملها الفيلسوف فهي التشبه بالخالق بمقدار طاقة الإنسان (الشكعة، 1975م، 164، 166).

وقد سمي الفارابي بالمعلم الثاني، لأنه كان كاملاً في معضلات الفلسفة الإلهية بجملتها، وأضاف مسائل الحكمة الدينية إلى مسائل الحكمة المنطقية، وأدخل مسألة التوفيق بين العقل والوحي في حسابه، وقد كانت من المسائل الحديثة في الإسلام، فلم يبل فيها أحد بلاء الفارابي، والذي اتفق عليه جل الثقات أن فلسفة الفارابي فلسفة إسلامية لا غبار عليها (العقاد، د.ت، 68،69).

وقد أقام الفارابي في بغداد، واشتغل بعلوم الحكمة، وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وذاع صيته، وكان يجتمع في حلقته كل يوم المئات من المشتغلين بالمنطق، ولم يكن في ذلك الوقت أحد مثله في فنه، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل، وأكب على مصنفات أرسطو[15] (طرابيشي، 1987م، 47)، حتى مهر وأتقن الحكمة، وقد حقق الفلسفة وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها، وأوضح مواد المنطق، وعرف طرق استعمالها، وكيف تصرف صور القياس في كل مادة (ابن خلكان، 1968م، ج5، 153،154)؛ (الصفدي، 2000م، ج1، 103).

ومن مؤلفاته: " آراء المدينة الفاضلة وشرح كتاب المجسطي لبطليموس وشرح كتاب البرهان لأرسطو وشرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لأرسطو وشرح كتاب المغالطة لأرسطو وشرح كتاب القياس لأرسطو وهو الشرح الكبير وشرح كتاب باريميناس لأرسطو والمختصر الصغير في المنطق وهو على طريقة المتكلمين، والمختصر الأوسط في القياس والتوطئة في المنطق والقياس الصغير وإحصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم في جميع الصنائع القياسية وشروط القياس والبرهان والجدل وغيرها كثير (الصفدي، 2000، ج1، 103).

إذاً يمتاز الفارابي برسائله الكثيرة في علم النفس والإلهيات، ومنها العقل والمعقول، والنفس وقوى النفس، والواحد والواحدة، والجوهر والزمان، والخلاء والمكان والمقاييس، كما كتب عدة رسائل للتوفيق بين آراء أرسطو وأفلاطون[16] (طرابيشي، 1987م، 64)، ومنها كتاب الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطاطاليس وأغراض أفلاطون وأرسطو (حسن، 1996م، ج3، 391).

. يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا: (280– 364هـ/ 894–974م) نزيل بغداد، برز في علم المنطق، وانتهت إليه رئاسته، قرأ على الفارابي، وكان منزله مقبلاً لأهل العلوم القديمة، وهو حكيم منطقي عارف باللغتين السريانية والعربية، من آثاره الكثيرة تهذيب الأخلاق ومقالة في الموجودات (كحالة، 1993م، ج4، 105).

15 أرسطو: أشهر الفلاسفة، ويلقب بالمعلم الأول، وأعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وهو تلميذ أفلاطون، ولد سنة (384ق.م) وتوفي سنة (322ق.م).

16 أفلاطون: أعظم فيلسوف في العصور القديمة، وهو تلميذ سقراط، ولد سنة (427ق.م) وتوفي سنة (347ق.م).

. **الباقلاني:** القاضي أبو بكر بن محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني (338. 403هـ/950-1013م) صاحب التصانيف في علم الكلام، وكان في فنه أوحد زمانه، كان ثقة عارفاً بعلم الكلام، صنف في الرد على والمعتزلة والخوارج والجهمية[17](البغدادي، 1995م، 22)، وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وإليه انتهت رئاسة المذهب المالكي في وقته، وهو متكلم على مذهب الأشعري، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، من تصانيفه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ومناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة وإعجاز القرآن وأسرار الباطنية وهداية المسترشدين في الكلام والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة (الكتبي، د.ت، ج3، 18،13)؛ (الصفدي، 2000م، ج21، 10).

. ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الشيخ الرئيس (370- 428هـ/ 980-1036م) الفيلسوف الطبيب، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، قال عنه ابن خلكان: " اشتغل بالعلوم وحصل الفنون، ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين والحساب والهندسة والجبر والمقابلة، وأحكم علم المنطق، وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه"(ابن خلكان، 1968م، ج2، 157، 158، 160).

وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام نقلاً عن ابن سينا: " وقد ألفت المناظرة والبحث، حتى قرأت ظواهر المنطق ووقائعه، ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي، وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق، وأخذت في الطبيعي والإلهي، فصارت الأبواب تنفتح علي، ورغبت في الطب وبرزت فيه، وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات النفسية من التجربة ما لا يوصف، وأنا مع ذلك اختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وعمري ست عشر سنة، ثم أعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة"(الذهبي، 1988م، ج29، 220، 221).

وقد تقلب ابن سينا في البلاد ولحق بأبي طاهر شمس الدولة بن فخر الدولة البويهي (387-412هـ / 997-1021م) في همذان[18] (القزويني، د.ت، 483)، وتقلد له الوزارة، وأوشك أن يستقر في جواره، لولا أنه أغضب الجند فثاروا عليه واعتقلوه وهموا بقتله، فأنقذه الأمير منهم (العقاد، د.ت، 19).

وقد تأثر ابن سينا بالفارابي حتى ليعد تلميذاً له، وإن لم يكن قد لاقاه أو رآه قط، كما أنه أخذ عن الأفلاطونية المحدثة ودون المنطق تدويناً واضحاً، وتوسع في موضوع النفس توسعاً لم يبلغه أي أحد من الفلاسفة المسلمين، وقد لقب ابن سينا بالمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، ولقب بالشيخ الرئيس، وقيل أنه منظم الفلسفة والعلم في الإسلام (سبانو، د.ت، 11).

ولم يكن ابن سينا متقيداً بمذهب أستاذ كأرسطو وأفلاطون كالفارابي أو أكثر من هؤلاء الأسلاف، لأنه كان يعارضهم كما كان يجاريهم ويوافقهم، وكانت أكثر معارضاته لهم فيما بينهم وبين الدين من خلاف، فلم يكن لمذهبه الفلسفي من حدود غير العقيدة الدينية (العقاد، د.ت، 87، 89).

17 الجهمية: إحدى الفرق الكلامية، ترجع إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي (ت 128هـ/ 746م) وهي ذات مفاهيم وآراء عقائدية في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى وأسمائه.

18 همذان: مدينة مشهورة، وهي أكبر مدن إقليم الجبال.

كما أن علم المنطق عند ابن سينا هو المدخل إلى الفلسفة الأولى، لأنه العلم بأول الأمور بالوجود، وثانياً: هو الحكمة التي هي أفضل علم بأفضل معلوم، وثالثاً: هو العلم الإلهي لأنه يبتغي معرفة الله والأمور المفارقة للمادة في الحد والتصور، ورابعاً: علم ما بعد الطبيعة، وخامساً: علم ما قبل الطبيعة، وسادساً: علم الموجود من حيث هو موجود، وسابعاً: علم الموجود المطلق من حيث هو مطلق، وثامناً علم الموجود الكلي من حيث هو كلي (الحكيمي، 1991م، 43).

صنف ابن سينا نحو مئة كتاب بين مطول ومختصر ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب القانون في الطب وعلاج الأمراض، وكتاب الشفاء في الحكمة، وجمع فيه العلوم، وصنف الطبيعيات والإلهيات، ولا مزيد لأحد على ما فيه من المنطق، والحاصل والمحصول والبر والإثم والإنصاف جمع فيه كتب أرسطو جميعها، وأنصف فيه بين المشرقيين والمغربيين، والمجموع ويعرف بالحكمة العروضية، والأوسط الجرجاني في المنطق، والمبدأ والمعاد في النفس، والهداية في الحكمة، ورسالة حي بن يقظان ومقالة في القوى الطبيعية ورسالة الطير في الفلسفة، والحدود وعيون الحكمة والخطبة التوحيدية في الإلهيات، والموجز الكبير في المنطق، وغيرها كثير في مختلف المعارف والفنون (الصفدي، 2000، ج12، 250، 251)؛ (الزركلي، 2002م، ج2، 241).

ولم يقتصر أمر علم الكلام والفلسفة على الجهود الفردية التي قدمها بعض من نوابغ الفكر الإنساني في العصر البويهي، وإنما انتقلت إلى الإطار الجماعي، وخير دليل على ذلك جماعة:

إخوان الصفا: من أشهر فلاسفة هذا العصر، وهم جماعة ذات نزعة شيعية، وقيل أنها إسماعيلية[19] (البغدادي، 1995م، 62)، وكانت هذه الطائفة موضع عطف بني بويه الذين اشتهروا بأفكارهم الحرة، واستطاعت هذه الطائفة أن تتم ما بدأه المعتزلة، وخاصة ما يتعلق بالتوفيق بين العلم والدين والانسجام بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية وتوحيد الثقافة في صورة دائرة معارف، وكان إخوان الصفا جماعة سرية من فئات متفاوتة، حرصوا على نشرها بين كل من يتوسمون فيه الخير من كل البلاد، ويرغبون في الإنضمام إليهم، وكان اهتمامهم ينصب على الشباب على أساس أنهم أقرب إلى الاستجابة، أما أشهر أعضائها خمسة هم: 1. أبو سليمان محمد ابن معشر السبتي ويعرف بالمقدسي، 2. أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، 3. أبو أحمد المهرجاني، 4. العوفي، 5. زيد بن رقاعة، وكانوا يجتمعون سراً ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص، قد أخذوا كثيراً من مبادئ الفلسفة الطبيعية، متأثرين بالفلسفة اليونانية، وأخذوا من كل مذهب فلسفي بطرف، ولجأوا إلى تأويل القرآن تأويلاً مجازياً (حسن، 1996م، ج3، 389، 390)؛ (جمعة، د.ت، 253)؛ (محمد، 1990م، 138)، وقد اجتمعوا على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله، ذلك أنهم قالوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال.

19 الإسماعيلية أو السبعية، وهم الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويتفقون مع الإثنا عشرية في تسلسل الأئمة إلى جعفر الصادق، فيقرر الإسماعيلية أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل ولكنه مات قبله، وذهبوا أن الإمامة انتقلت إلى من إسماعيل بن جعفر إلى ابنه محمد المكتوم، وهذا أول الأئمة المستورين.

وقد صنفوا كتاب في أنواع الحكمة الأولى ورتبوه في مقالات بلغت إحدى وخمسون مقالة، خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة، ومقالة حادية وخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والإيجاز، وقد حوت المقالات الكثير من العلم النفيس، وهي مشوقات وغير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج، وكأنها للتنبيه والإيماء إلى المقصود، الذي يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة، وقد ذاعت هذه الرسائل في أيامهم وأقبل الناس عليها، لأنها لذيذة التناول مجهولة المصدر، والرسائل هو الأصل السماوي للأنفس وعودتها إلى الله، وكانوا يؤمنون في النهاية بوجود الخالق الواحد، وكانوا بارعين في البرهنة على وحدانيته بوسائل عديدة وبخاصة عن طريق فلسفتهم الرياضية، وأما فهمهم للقرآن الكريم فقد أولوه تأويلاً رمزياً.

وجملة القول في جماعة إخوان الصفا أنها كانت فرقة من المفكرين المسلمين المثقفين المبشرين بنزعة فلسفية فيها مزج وفيها ثقافة (القفطي، د.ت، 58، 59)؛ (الشكعة، 1975م، 174، 175).

خامساً: الخاتمة:

في أوج الفوضى السياسية والصراع على السلطة والتنافس المحموم وضياع هيبة الخلافة وتبعثر أقاليم الدولة العربية الإسلامية، ومعاناة المجتمعات العربية الإسلامية ما بين حاكم ومحكوم . صراع سياسي . صراع اقتصادي . صراع اجتماعي . رافقه نزاع فكري، غذته بعض النزاعات العقائدية المرتكزة على خلفيات عميقة ذات جذور تاريخية، وكذلك الانتماءات الضيقة والتحزبات السياسية والإقليمية والمناطقية، وفتح باب الاجتهاد والتأويل على مصراعيه، وتلاقت في البيئة ذاتها أفكار وثقافات وجنسيات مختلفة تفاعلت بعضها مع بعض، وتلاقحت وتغذت بمناهل نابعة من صلب العالم العربي والإسلامي، كل ذلك إذاً أشعل فتيل الجدل وعلم الكلام والفكر الفلسفي مما أنعكس بتكوينه وسجالاته الفكرية ومناظراته العلمية على الفكر والفلسفة الإسلامية، التي اتخذت منحى وبعداً يكاد يبتعد عن جذور الفلسفة التكوينية الأساسية . الفلسفة اليونانية . وتتمحور حول فكرة اللاهوت والعقيدة والتفسير الظاهري والباطني لتلك المكونات بما تشتهي الأذواق وبما يناسب الفكر الفلسفي الخاص بكل جماعة أو فرقة دينية.

فغزر الإنتاج الفلسفي في هذه الحقبة التاريخية نتيجة لجملة الروافع الحقيقية لنشأة الفلسفة العربية والإسلامية، كشف عن حقيقة كونها ثمرة اختمار موروث فكري حضاري زاخر عميق متعدد الجذور، وترك مخزوناً هائلاً وكماً معرفياً في الثقافة العربية والإسلامية بكل مكوناتها العلمية والنظرية، فأصبحت العلوم بمجملها ميداناً للفلسفة، اتخذ أبناؤه من ذلك منطلقاً للإبحار في فنون الحكمة، في منطقها وغاياتها ومداخلها ومكوناتها، واضعين على عاتقهم بناء وعي حضاري عربي . إسلامي، وإنتاج فكر فلسفي يعكس مستوى التقدم الفكري والخلق الإيماني والعقل الفلسفي، الذي كانت قد وصلت إليه أحوال عمران الدولة البويهية آنذاك، فالطبيب عالم في الكلام وفيلسوف والمهندس والرياضي والموسيقي والفلكي ذا عمق فلسفي، واختلطت الآداب وعلى وجه الخصوص اللغة العربية والتاريخ بالتأويل الفلسفي.

وكل ذلك كان بمساعدة المتحكم والمتغلب على السياسة والقابض على الحكم بنو بويه الذين كانوا راعين ومسيرين لهذه المنظومة عن طريق المناظرات وغيرها، والتي أفرزت اختلافاً في الرؤى والتفكير والتفسير والمدارس والمناهج، وأنجبت علماء كلام وفلاسفة أصبحوا رواداً ومنهلاً للفكر الفلسفي لمن جاء بعدهم من علماء مسلمين وغربيين.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، علي بن محمد ت630هـ/1232م. (1987م). *الكامل في التاريخ*. ط: 1، دار الكتب العلمية: 520.

2. أمين، أحمد. (1936م). *ضحى الإسلام*. ط: 7، مكتبة النهضة المصرية: 387.

3. أيوب، إبراهيم (1989م). *التاريخ العباسي السياسي والحضاري*. ط: 1، الشركة العالمية للكتاب: 327.

4. بروكلمان، كارل.(1968م). *تاريخ الشعوب الإسلامية*. ط: 5، دار العلم للملايين:901.

5. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر ت429هـ/1037م. (1995م). *الفرق بين الفرق*، المكتبة العصرية: 366.

6. بوزوث، كليفورد، شاخت، جوزيف. (1998م). *تراث الإسلام*. ط: 3، عالم المعرفة: 367.

7. بيطار، أمينة. (د.ت). *العصر العباسي*، مطبوعات جامعة دمشق:443.

8. الترمانيني، عبد السلام. (1991م). *أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين*، دار طلاس: 1470.

9. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي. (1991م). *علم الكلام وبعض مشكلاته*، دار الثقافة: 190.

10. جمعة، محمد لطفي. (د.ت). *تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب*، المكتبة العلمية: 308.

11. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت597هـ/1201م. (1992م). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. ط: 1، دار الكتب العلمية: 360.

12. حسن، إبراهيم حسن. (1996م). *تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي*. ط: 14، دار الجيل:543.

13. الحكيمي، محمد رضا. (1991م). *ابن سينا عبقري يتيم وتاريخ حافل*. ط: 1، منشورات مؤسسة الأعلمي: 240.

14. الحموي، ياقوت ت 626هـ/1229م. (د.ت). *معجم البلدان*، دار صادر: 501.

15. الحميدي، محمد بن أبي نصر ت 488هـ/1095م. (1966م). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*، الدار المصرية للتأليف: 720.

16. الخطيب، محمد بن عبد الله. (1990م). *رقم الحلل في نظم الدول*، وزارة الثقافة: 379.

17. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1405م. (د.ت). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المقدمة*. مؤسسة جمال للطباعة والنشر: 608.

18. ابن خلكان، أحمد بن محمد ت681هـ/ 1281م. (1968م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. دار الثقافة: 435.

19. الديار بكري، حسين بن محمد ت966هـ/1559م). (د.ت). *تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس*. مؤسسة شعبان:392.

20. الذهبي، محمد بن أحمد ت 748هـ/1347م. (1983م). *سير أعلام النبلاء*. ط: 1، مؤسسة الرسالة: 578.

21. الذهبي، محمد بن أحمد ت 748هـ/1347م. (1988م). *تاريخ الإسلام*. ط: 1، مؤسسة الرسالة: 864.

22. الروذراوري، محمد بن الحسين ت 488هـ/1096م. (د.ت). *ذيل تجارب الأمم*، دار الكتاب الإسلامي: 460.

23. الزركلي، خير الدين. (2002م). *الأعلام*. ط: 15، دار العلم للملايين: ص336.

24. زيدان، جرجي. (د.ت). *تاريخ آداب اللغة العربية*، دار الهلال: 356.
25. سبانو، غسان. (د.ت). *ابن سينا في دوائر المعارف العربية والعالمية وكتب الإعلام*، دار قتيبة: 167.
26. سلهب، حسن. (2011م). *علم الكلام والتأريخ*. ط: 1، *مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي*، 356.
27. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ/1505م. (1979م). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. ط: 2، دار الفكر: 601.
28. الشكعة، مصطفى. (1975م). *معالم الحضارة الإسلامية*. ط: 2، دار العلم للملايين: 280.
29. شلبي، أبو زيد. (1998م). *تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي*. ط: 9، مكتبة وهبه: 381.
30. الصفدي، خليل بن أيبك، ت764هـ/1362م. (2000م). *الوافي بالوفيات*. ط: 1، دار إحياء التراث العربي: 310.
31. الطائي، سعاد. (2020م). *دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي*. ط: 1، دار عدنان للطباعة:
32. طرابيشي، جورج. (1987م). *معجم الفلاسفة*. ط: 1، دار الطليعة: 805.
33. العازمي، محمد. (2013م). *مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري، من خلال أدب القاضي المحسن التنوخي*، جامعة مؤتة: 116.
34. العقاد، عباس محمود. (د.ت). *الشيخ الرئيس ابن سينا*. ط: 3، دار المعارف:144.
35. ابن العماد، عبد الحي بن العماد ت 1089هـ / 1678م. (1979م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. ط: 2، دار الميسرة: 468.
36. العوا، عادل. (1964م). *الكلام والفلسفة*. ط: 2، مطبعة جامعة دمشق: 144.
37. العوا، عادل.(2001م). *المذاهب الفلسفية*، جامعة دمشق:
38. ابن عياض، عياض بن موسى ت 544هـ/1149م. (1982م). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، وزارة الأوقاف: 360.
39. أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت 732هـ/1331م. (د.ت). *المختصر في أخبار البشر*. ط: 1، دار المعارف: 240.
40. القرماني، أحمد بن يوسف ت1019هـ/1610م. (1992م). *أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ*. ط: 1، عالم الكتب: 590.
41. القزويني، زكريا بن محمد ت 682هـ/1283م. (د.ت). *آثار البلاد وأخبار العباد*. دار صادر: 667.
42. القفطي، علي بن يوسف ت 646هـ / 1248م. (د.ت). *أخبار العلماء بأخبار الحكماء*. مطبعة السعادة: 288.
43. القلقشندي، أحمد بن علي ت 821هـ / 1418م. (1992م). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. دار الكتب المصرية: 487.
44. القلقشندي، أبو العباس أحمد ت 821هـ / 1418م. (1985م). *مآثر الإنافة في معالم الخلافة*. ط: 2، مطبعة حكومة الكويت: 445.
45. الكتبي، محمد بن شاكر ت 764هـ/1363م.(د.ت). *فوات الوفيات والذيل عليهما*، دار صادر: 458.
46. كحالة، عمر رضا. (1993م). *معجم المؤلفين*. ط: 1، مؤسسة الرسالة:581.

47. محاسنة، محمد حسين. (2001م). *أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين*. ط: 1، دار الكتاب الجامعي:320.
48. محمد، وفاء علي. (1990م). *الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين*، المكتب الجامعي الحديث: 157.
49. مرحبا، محمد عبد الرحمن. (1970م). *من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية*. ط: 2، منشورات عويدات: 885.
50. المعلة، جميل. (2008م). *جدلية الجزئي والمطلق في الفكر الإسلامي*، مجلة جامعة الكوفة، العدد العاشر
51. منيمنة، حسن. (1987م). *تاريخ الدولة البويهية*، الدار الجامعية: 427.